دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	نظريات الاعلام
المصدر:	الدراسات الاعلامية
الناشر:	المركز العربي الاقليمي للدراسات الاعلامية للسكان والتنمية والبيئة
المؤلف الرئيسي:	العيدي، حسن
المجلد/العدد:	ع 25
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1981
الشهر:	حزيران
الصفحات:	121 - 130
رقم MD:	127834
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الصحافة، الاعلام، الصراع السياسي، العصر الحديث، القوانين والتشريعات، نظرية الصحافة، وسائل الاتصال، كتاب الاعلام والتحول الاشتراكي، نظرية كولن، الفلسفة الغربية، الاعلام الغربي، الاحوال الاجتماعية، الديكتاتورية، النظم السياسية، المفكرون الليبراليون، المحاكم، المسؤولية الاجتماعية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/127834

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

نظـــريات الاعـــلام

الاستاذ حسن العيـدي

استاذ في كلية الآداب ـ قسم الاعلام ـ منذ سنة ١٩٦٦

** صدرت له

ـ العوامل الدلالية في الحرب النفسية

ـ ازمة الصحافة الاميركية المعاصرة

ـ وسائل الاتصال بالجماهير والحرب النفسية

ـ مجموعات أبحاث متنوعة وفي مجالات متنوعة

** له مؤلفات تحت الطبع وهي :

ـ مذاهب التلفزيون في الدول المتقدمة

ـ تاريخ الصحافة العالمية

ـ وسائل واساليب الاتصال بالجماهير

يتميز الصراع الايديولوجي في العالم المعاصر بالحدة والتوتر ، ويجري على مستويات متباينة ، وله آفاق مختلفة . كما أنه يكتسب أشكالاً متنوعة ولا ينتصر هذا الصراع على وضع العقائد والأنظمة الفكرية ، التي تعكس المصالح الطبقية ، فهو يشمل ، كجزء لا يتجزأ عنه بالضرورة نشاطاً هادفاً إلى نشر الأفكار والآراء ، الصياغة نظرياً ، والتي تعمل على تثبيت العلاقات الاجتماعية وتبديلها ، أو تطويرها .

وتعتبر الدعاية من أهم أشكال هذا النشاط . فبواسطة الاعلام والدعاية ، تنتشر الأفكار التي تسلح الجماهير الشعبية بمعرفة قوانين التطور الاجتماعي ، وتساعدها على أن تشارك مشاركة نشيطة في عملية تغيير العالم . ولكن ، وبواسطة الدعاية ذاتها تنتشر أيضاً النظريات الرجعية التي تعزز وتدعم مواقف الظلم الاجتماعي ، والقهر والاستغلال المعنوي .

ومن هذه النقطة كان علينا أن نتعرف ولو بصورة عابرة على تلك النظريات التي تتحكم في وسائل الاتصال الجماهيري ، تلك الوسائل التي أصبحت في أيامنا الحاضرة ملازمة للانسان صباح مساء .

ففي معرض تقييمه للصحافة ، يقول الكاتب المعروف آرثر ميلر :

(الصحيفة الجيدة . . . أمة تتحدث عن نفسها) . وفي معرض دفاعه عن النظام الاعلامي الغربي يقول الصحفي الأمريكي المعروف وولتر ليبمان : (نظرية الصحافة الحرة ، هي أن الحقيقة سوف تبرز من خلال النشر الحر والنقاش الحر ، وليس أن تقدم الحقيقة كاملة وفورية في تقرير واحد) .

انطلاقاً من الحقائق السالفة يحاول بعض المتخصصين في الدراسات الاعلامية تحديد نظريات الاعلام استناداً إلى علاقة وسائل الاعلام الجماهيري بالسلطة من جهة وبالنظام الاجتماعي والاقتصادي من جهة أخرى ، مما دفعهم إلى تحديدها بأربع نظريات .

(١) نظرية السلطة ـ أي مرحلة الحكم الاستبدادي .
(٢) نظرية الحرية (أو الليبرالية) .
(٣) نظرية المسؤ ولية الاجتماعية .
(٤) النظرية الاشتراكية .

وقد حاول الدكتور مختار التهامي في كتابه (الاعلام والتحول الاشتراكي) أن يجد صيغة لعهد بالالتزام الصحفي دعاه (بنظرية المسؤ ولية العالمية) .

بداية نظريات الاتصال :

في الواقع أن نظريات الاتصال قديمة قدم الحياة البشرية والحضارة الانسانية . فقد بدأت على شكل صور بدائية للاتصال لا تتوافر فيها القواعد الاتصالية التي تشكل نظرية علمية ، ثم ازدادت الأفكار الاتصالية عمقاً وأخذت أبعاد جديدة ، جعلتها تتحول إلى نظريات علمية لها اسمها وأهدافها . وقد تراكمت تلك الأسس والأهداف بما قدم إليها من الفكر الانساني العالمي . وقد يكون الفيلسوف الكبير أرسطو من أوائل الذين أرسو أسس نظريات الاتصال .

الحقيقة أن أرسطو لم يصنع نظرية مستقلة للاتصال ، غير أن الوقوف على وجهات نظره في جوهر العملية الاتصالية يستطيع أن يتلمس اسلوبه الاستكشافي للحياة الواقعية واعتماده على التجربة في بحوثه الاجتماعية أو الفلسفية كطريق للاتصال بالجماهير . فقد وضع أرسطو أسساً لا تزال قائمة للتفاعل بين الخطيب (المرسل) والجمهور (المستقبل) والخطبة (الرسالة) وهي كما نعلم الأسس الدولية في عملية الاتصال بالجماهير .

ثم أن أرسطو أوجب على (الخطيب) أن يدرك ما يعتمل في نفوس الجمهور من قيم ومبادئ ومعايير . ويلاحظ أن نظرية أرسطو في الاتصال تتفق مع التطور الاجتماعي الذي كان قائماً يومئذ ، حيث لايستخدم فيه أية أدوات أو وسائل اتصالية .

إن تلك النظرية لم تتضمن الإشارة إلى

رجع الصدى ومايطلق عليه أحياناً التغذية العكسية في الاعلام والذي تطور لاحقاً ليكون الرأي العام في يومنا هذا .

ومع ذلك فقد بقي علم الاتصال تعوزه مقومات عديدة تساير التطور الذي يحدث في المجتمع الانساني خلال مراحل نموه ، حتى جاء العالم الاجتماعي العربي ابن خلدون ليضيف ركناً مهماً وجديراً إلى العلوم الانسانية ولكي تبلور أكثر من ذي قبل شروط بناء النظرية الاعلامية .

لم يضع ابن خلدون هوالآخرنظرية مستقلة في الاتصال ، وإنما يمكن الوقوف على وجهة نظره في هذا المجال من منهاجه في البحث الاجتماعي ، حيث أوضح قصور الاتصال بين الماضي والحاضر ، وأرجع هذا القصور إلى «التشيعات للآراء والمذاهب» وبرز ذلك بقوله : (إن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعته حقه في التمحص والنظر ، حتى تتبين صدقه من كذبه . وإذا خامرها تشيع لرأي قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة ، فكأن ذلك الميل والتشيع غطاء على بصيرتها عن الاعتقاد والتمحص ، فتقع في الكذب ونقله) .

والملاحظ في قول ابن خلدون نجده يؤكد على مبدأ التميز في نقل وتقبل الرسالة الاتصالية .

قد يكون العالم الاجتماعية «كولن» بحق أحد الرواد الأوائل المعاصرين في مجال نظريات الاتصال الحديثة ، ذلك أنه أول من استخدم بعض المصطلحات المستعارة من العلوم الحديثة في تحليله لنظريات الاعلام فقال (المرسل ، الرسالة ، المستقبل ، رجع الصدى أو التغذية العكسية) .

تعتمد نظرية «كولن» على عقل الانسان باعتباره المركز الرئيسي للاتصال بالنسبة إلى الإنسان ، سواء كان في الارسال أو الاستقبال أو في تحليل المضمون استعداداً لعملية رجع الصدى . ثم جاء «ستيفنسون» ليحاول أن يجد نوعاً من العلاقة بين الأعلام الموجهة و «الاقناع» على أساس أن «المستقبل» يشعر بالاستغراق والمتعة فيما يقرأ أو يشاهد أو يستمع لاسيما في حالة الاتصال الجمعي (مثال إذاعة مونتكارلو وهي تضع الموسيقى والاعلان التجاري تتخلل نشرات الأخبار) . إضافة إلى أنه ربط بين الاتصال وتكوين الرأي العام ، والارتقاء بالثقافة عن طريق ما يقدم للجمهور من مواد امتاعية . إلا أنه من جانب آخر جعل الموقف الاتصالي في نظريته الاعلامية يخضع للشروط التالية :-

(١) الزام المرسل بايديولوجية المجتمع التي من أهدافها ربط المواطنين بمجتمعهم .

(٢) صياغة الرسالة في أسلوب شيق يعتمد على الامتاع بشكل يجعل المستقبل على اتصال مستمر بمصادر المعلومات .

(٣) إتاحة الفرصة للمستقبل للدخول في حوار مع المرسل ، حتى يؤدي ذلك إلى تكوين رأي مستنير ، يعتمد على الحقائق الواضحة وليس على ما تقدمه له الأجهزة التنفيذية ، دون أن تكون للجماهير حتى معرفة المصادر وثبات

ما يقدم لها من معلومات . من جانب آخر نجد أن «لازار سفيلد» اعتمد في دراسته لنظريات الاعلام على دراساته الميدانية في قياس استجابات الجمهور كوسيلة اتصالية رئيسية ، وهو نفس الأسلوب الذي استخدمه زميله (مورينو) في وضع نظرية مبتكرة في قياس العلاقات الاجتماعية على اعتبار أنها ركن مهم في عملية الاتصال بالجماهير . ويلاحظ أن هناك تشابهاً في الخطوات المتخذة ، حيث وضع كلاهما منهاجاً جديداً كل في مجاله ، كما أنشأ منهما معهداً للدراسات الميدانية المتخصصة . ومن خلال دراساته الميدانية توصل إلى نظريته في الاتصال المستمدة من التأثير على مرحلتين أو الاتصال ذي الخطوتين ، تلك النظرية التي يتبلور فيها الموقف الاتصالي على النحو التالي :-

(١) المرسل ، وهو الذي يؤلف وينقل الرسالة .

(٢) الرسالة ، وهي ما يرغب المرسل في ارساله إلى المستقبل من خلال وسائل الاتصال الجمعي .

(٣) المستقبل (الجماهير) ، وهي من وجهة نظره لاتتأثر بالرسالة مباشرة ، وإنما يتأثرون بها أكثر إذا ما نقلت إليهم تلك الرسالة مرة عن طريق قادة الرأي وأخرى من خلال تحليل الوسائل لها .

أما «اسفيروس» فقد تناول الاتصال ـ لأول مرة ـ كظاهرة اجتماعية ، ومن ثم تميزت نظريته بالعمق ، والبعد عن الأساليب الدعائية والاعلامية ، حيث لم يركز على أجهزة ووسائل الاتصال وإنما ركز على العملية الاتصالية كظاهرة اجتماعية تقوم على التفاعل الذي يتحقق في المجتمع وعلى ارتباط بقية الظواهر الاجتماعية الأخرى .

وبذلك فقد أعاد الاتصال موضوعاً بالدرجة الأولى . وأكد أن الاتصال أقدم الظواهر الاجتماعية ، وأضاف أنه إذا كان هدف الاتصال هو زيادة تماسك المجتمع وتحويله إلى وحدة اجتماعية متكاملة فأن الوسيلة ليست هي بيت القصيد ، وإنما المهم هنا هو الحقائق الكامنة وراء تلك الأساليب التبصيرية .

كما أن «اسفيروس» رفض المفهوم الاعلامي الاتصالي ، ذلك المفهوم الذي يحاول أن يصور هذه الأخبار ، وإنما أكد على مبدأ هام جداً ذلك هو أن الاتصال يحمل في جوانبه على عنصري التمدين والتحديث .

وأخيراً لابد من الإشارة ولو بصورة عابرة إلى المبادئ التي جاء بها «ويفر ، وشاتون» في دراساتهم لنظريات الاتصال والتي يمكن تجزئة دراساتهم التي تعتمد في الأساس على علم (الرياضيات) في الاتصال من خلال تحليل مضمون الموقف الاتصالي القائم بين أخصائي اجتماعي وجمهور مبحوث في موقف من المواقف ، واعتمد الأسس التالية :-

(١) المرسل ـ أخصائي اجتماعي .

(٢) الرسالة ـ (عبارة عن مجموعة توجيهات من أخصائي إلى مبحوث) .

(٣) المستقبل ـ وهو الذي يتلقى الرسالة ويقوم بتحويلها إلى الشكل أو الرمز الذي كان عليه في هيئته الأولى . وبذلك يكون عقل المبحوث هو الهدف الذي يرمي الأخصائي إلى وصول التوجيهات إليه .

تلك هي باختصار المقدمات الأولية التي ارتكزت عليها النظرية الليبرالية في الاعلام ، تلك النظرية التي هيمنت في الوقت الحاضر على معظم المجتمعات في الدول الصناعية المتقدمة باستثناء المعسكر الاشتراكي الذي تحكمه بدون شك نظريته الاشتراكية في الاعلام .

والآن نرى ما هي الخطوط العريضة التي تحكم نظرية الصحافة الحرة أو الليبرالية كما نعرفها .

لكي نفهم النظام الاعلامي لأي مجتمع ، لا بد على المرء أن يعرف ماذا يتوقعه من ذلك النظام ؟ ما هي وظائف النظام ؟ وما مدى الحرية التي يتمتع بها ؟ وماذا نعنيه بالحرية ، على أية حال ؟

لا شك أن الإجابات عن هذه الأسئلة سوف لن تأتي بالسرعة المطلوبة ، إذ لابد قبل كل شيء من دراسة التيارات والأفكار التي يعتنقها المجتمع موضوع الدراسة . وفي مقدمة تلك الأفكار نظرة المجتمع إلى طبيعة الإنسان ، ثم نظرة المجتمع إلى العلاقة المثلى بين الانسان والدولة من جانب آخر ، وأخيراً ما هي فكرة المجتمع عن الحقيقة ؟حيث أن دراسة النظام الاعلامي والنظرية الاعلامية سوف تؤدي بدون شك ـ إن عاجلاً أو آجلاً ـ إلى الأسس الفلسفية لذلك المجتمع .

والذي يهمنا في هذا السياق السريع أن نذكر بأن الفلسفة الليبرالية التي نتناولها الآن من خلال نظريات الاعلام ، كانت تتوازن في تشكيلها لنظام الاعلام الغربي توازناً متساوياً على الأقل مع المصلحة الخاصة في تشكيلها لذلك النظام .

فلو أخذنا على سبيل المثال نظام الاعلام الأمريكي لوجدنا وراءه ميراث انكليزي عريق ، ذلك أن أهالي المستعمرات الأمريكية قد نقلوا مؤسسات انكلترة وثقافتها ، كما أنهم أسسوا صحفهم ومجلاتهم وفقاً لنماذج أخذوها من الدولة الأم .

ولكي تسير الصحافة على نفس الخط ، ويأخذ الاعلام نفس المنهج ، نجد أنهم استوردوا لذلك الضوابط المستخدمة ذلك الوقت في انكلترة . وعندما أنشأ الأمريكيون بداية نظرية في الصحافة ، بعد حصولهم على الاستقلال وتمتعهم بالحرية ، أخذوا ينقلون كثيراً عن المفكرين والكتاب في انكلترة وأوروبا عموماً .

كيف ظهرت الليبرالية :

ظهر في القرن السابع عشر مفهوم جديد لطبيعة الانسان ، وعلاقته بالدولة . . فقد وسعت الاكتشافات العلمية والجغرافية من العقول والآراء والمصالح . فقد أنكرت الطبقة التجارية الصاعدة امتيازات طبقة

النبلاء ، وتحدت السلطة الدكتاتورية لاسيما الملكية المطلقة ، وهكذا كان النظام القديم يتداعى ، فعندما بدأ القرن التاسع عشر كان النظام السلطوي - فيما يبدو - مستقراً ، إلا أنه عندما كان ذلك القرن في أيامه الأخيرة كان التاج تابعاً للبرلمان ، وكانت الأفكار الليبرالية في حالة صعود ، وهكذا كانت انجازات القرن الثامن عشر والتاسع عشر تلك المعامل التي اختيرت فيها المبادئ الليبرالية .

إذن فقد كانت النظرية الليبرالية حصيلة المفكرين العظام في ذلك الوقت ، وهي الفلسفة الكامنة وراء نظام المجتمع الغربي اليوم ، والتي ترتكز في الأساس على النقاط الثلاث الرئيسية التالية وهي :-

(١) الكمال الانساني .
(٢) الحقوق الطبيعية .
(٣) العقل الطبيعي .

إن الانسان الكائن يوجهه العقل . ومن طبعه أن يبحث عن الحقيقة وأن يسترشد بها . والعلاقة المثلى بين الانسان والدولية تقوم على أنه ينبغي ألا يحكم الإنسان إلا برضاه ، وأن تحافظ الحكومة على أدنى قدر من السلطة ، تصون الحقوق الطبيعية للانسان دون أي اعتداء عليها . ثم أن الحقيقة ليست حكراً على القلة الحاكمة ، وإنما هي قابلة لأن يكتشفها كل انسان باستخدام عقولهم الطبيعية ، وهي مفتاح فهم النظام الطبيعي للأشياء ، لكي يستطيع الانسان أن يكوّن المجتمع المتوافق .

إذن فإن الأسئلة التي أوردناها سابقاً كما قلنا تشكل الأساس الذي بنيت عليه النظرية الليبرالية في الصحافة ، وسوف نحاول في هذه المحاضرة العامة والسريعة أن نلخص هذه النظرية قدر المستطاع .

وفقاً للنظرية الليبرالية ، ينبغي أن تكون للصحافة قاعدة كبيرة من الحرية كي تساعد الجماهير في بحثهم عن الحقيقة . ولكي يصل الانسان إلى الحقيقة عن طريق العقل ، ينبغي أن تتاح له حرية الوصول إلى المعلومات والأفكار . وهو بعد ذلك يستطيع أن يميز فيما تقدمه له الصحافة بين الحقيقي والزائف ، باستخدام عقله المستقل . فهو قد يجد بعض الصدق مختفياً وراء الكذب ، كما يجد الزيف مختفياً وراء الحقيقة . ولكن على المدى الطويل ، لابد أن تظهر الحقيقة من خلال التفاعل الحر بين المعلومات والأفكار . . .

فإذا كان الانسان صادقاً مع ذاته ، فإن التغيير الاجتماعي يستحيل أن يأتي عن طريق القوة ، الأمر الذي يرغمه على سلوك مبدأ النقاش والاقناع .

ولما كانت حرية التعبير - وفقاً للنظرية الليبرالية - تحمل في طياتها عوامل تصحيحها ، فلن يحتاج الامر إلى القليل من القيود التي تفرض على ما قد تقوله الجماهير أو تكتبه . . . والغالبية العظمى من الجماهير مخلوقات وجدانية وأخلاقية تستخدم حريتها

بمسؤولية الامر الذي يعني في النهاية أن المرء لا يحتاج إلى أن يعبأ بآراء الاقلية الصغيرة التي قد تسيء إستخدام الحرية بالكذب والتشويه ، وسوف يجد البعض أنه من المفيد فضح هؤلاء القلة ، فتظهر الاكاذيب والمبالغات على حقيقتها ما دامت كل المعلومات والافكار خاضعة للتحميض العقلي الفعال .

وعلى هذا الاساس ، فأنه ليس من الضروري فرض المسؤولية في مقابل الحرية ، لأن أغلب الناس سوف يتحملونها دون مطالبتهم بذلك . أما البقية الباقية منهم ، فلا يستطيعون أن يسببوا ضرراً بليغاً . لقد كان (جارلس بيرد) مصيباً تماماً حين قال : (أن حرية الصحافة في ظل الدستور هي أصلاً الحق في أن تكون منصفاً أو غير منصف ، متحيزاً أو غير متحيز ، صادقاً أو كاذباً ، سواء في أعمدة الاخبار ، أو في عمود التعليق) .

ثم أن الرقابة قبل النشر كما تفسرها النظرية الليبرالية هي رذيلة لثلاثة أسباب على الاقل :

أولاً ـ إنها تنتهك الحق الطبيعي للانسان في حرية القول .

ثانياً ـ إنها تمكن الطغاة من الاستمرار في السلطة ، وتجعل من الدولة عدواً للحرية ، بدلاً من أن تكون حامية لها .

ثالثاً ـ إنها يمكن أن تعوق مؤقتا عملية البحث عن الحقيقة من خلال إرباك التوازن في العملية الدقيقة التي عن طريقهاتظهر الحرية في نهاية الامر .

وإذا كان من حق الجماهيران تكتشف الحقيقة ، فيجب أن تتوافر لها جميع المعلومات والافكار ، وليس فقط تلك المعلومات والافكار التي يغذي بها . ومع ذلك فقد سمحت الانظمة الليبرالية ـ وفقاً للنظرية الليبرالية ـ بفرض بعض القيود على التعبير . فقد اقرت قوانين القذف لحماية الفرد من التشهير . كما أن النظرية قد سمحت كذلك بأصدار بعض القوانين المخففة ضد آثار الفتن . ومع ذلك فإن هذه القيود قد تركت الحدود مترامية في مجال حرية القول .

ثبات التراث :

يرجع الفضل في إبداع النظرية الليبرالية في الصحافة ، على النحو الذي ظهرت به في العالم الغربي والولايات المتحدة الاميركية على وجه الخصوص إلى أفكار العديد من الشخصيات التي تتجاوز الاسماء المألوفة التي ترتبط بها من أمثال (دانيال ديفو ، جون وولتر ، توماس جيفرسون ، بوليتزر وغيرهم) غير أن وسائل الاعلام وفي مراحل مختلفة من تطورها إضافة من خلال مفكريها وظائف جديدة إلى جذور هذه النظرية .

فقد حدد (سيبرت) في كتابة «نظريات أربع للصحافة» وظيفتان هامتان : الأولى هي الاعلام والثانية هي الترفية ، وفي نهاية الامر ظهرت وظيفة ثالثة هي الاعلان أو المبيعات ، وذلك عندما سعت الصحافة للحصول على استقلالها المالي . والهدف الاساسي من وسائل الاعلام ، بطبيعة الحال هو المساعدة على اكتشاف الحقيقة ، والمعاونة في

انجاح عملية الحكم الذاتي عن طريق تقديم كل لون من ألوان الادلة والآراء كأساس لاتخاذ القرارات الاجتماعية والسياسية .

وباختصار ، إذن ، يبدو أن النظرية الليبرالية تعترف بست وظائف إجتماعية على الأقل هي :-

التنوير العام ، وخدمة النظام الاقتصادي ، وخدمة النظام السياسي ، والمحافظة على الحقوق المبدئية ، والحصول على الربح ، والتنوير والامتاع .

مع التأكيد على ان الوسيلة الواحدة من وسائل الاعلام غير مسؤ ولة منفردة وإنما المسؤ ولية جماعية بين وسائل الاتصال بالجماهير الأخرى وهي تعمل معا .

وإذا نظرنا إلى تعريف المفكرين الليبراليين لهذه الوظائف وكيف يتوقعون طريقة تنفيذها ، نستطيع ان نحصل على الصورة التي يتصورها الليبراليون لما ينبغي ان تكون عليه وسائل الاعلام وما ينبغي ان تفعله . ويجمع المفكرون الليبراليون على ان التنوير العام من الوظائف الكبرى لأجهزة الأعلام . إذ ان الصحافة تستطيع ان تغذى الانسان كما قلنا بالمعلومات التي يحتاجها لصياغة أفكاره الخاصة . وهي تستطيع ان تنبهه عن طريق ما تقدمه من أفكار الآخرين . اذن فأن وسائل الأعلام من أرخص الوسائل التعليمية وأعمها .

أما الوظيفة الثانية ، وهي خدمة النظام السياسي ، فالحكومة الديمقراطية ، تضع مسؤ ولية كبيرة على عاتق كل مواطن وأجهزة الأعلام . ولكي يحكم الفرد نفسه بنفسه ، في ائتلاف مع الآخرين ينبغي له ان يعي المشكلات والقضايا التي تواجه الدولة وكذلك حلولها ونتائجها المحتملة . ففي الحكومة التي تستند على الرأي العام ، اذن ، تزود أجهزة الأعلام الجماهير بالمعلومات والأفكار التي يحتاجونها لاتخاذ قرارات سليمة .

والوظيفة الثالثة للصحافة وأجهزة الأعلام في المذهب الليبرالي . هي المحافظة على الحريات المبدئية ، حيث تنبثق هذه الوظيفة بشكل طبيعي من الوظيفة الثانية . ذلك ان فكرة الاستقلال الذاتي للفرد تقع في صلب النظرية الليبرالية . وقد عبر (جون ستيوارت ميل) عن هذه الفكرة على النحو التالي :

(ان الحرية الوحيدة التي تستحق الاسم هي السعي وراء مصلحتنا بطريقتنا الخاصة ، ما دمنا لا نحاول حرمان الآخرين من حرياتهم أو نعوق جهودهم للحصول عليها وكل فرد هو الحارس الأمين على صحته الجسدية والعقلية والروحية) .

ويرى أتباع النظرية الليبرالية التقليدية ، ان الشعب الحر ينبغي ان يقاوم بشدة دخول الحكومة في ميدان وسائل الاعلام . وإذ تربط النظرية الليبرالية بين استقلال وسائل الأعلام

وتحقيق الربح ، فأنها تغترف بسخاء من فكر (آدم سميث) حول «اليد الخفية» في الاقتصاد الكلاسيكي . ففي السوق الاقتصادية ، حيث يعمل كل فرد لمكسبه الخاص ، فأنه يسهم في اثراء المجتمع . وفي سوق المعرفة ، حين يعبر كل فرد بحرية عن أفكاره وآرائه ، فأنه يساعد على ظهور الحقيقة حتما ، والخلاصة فأنه تنتج عن هذه الحالة أجهزة أعلام ترتبط ارتباطا وثيقا باحتياجات المجتمع ومصالحه .

ومع ذلك فقد تصدى لهذا الرأي النقاد المعاصرون للنظرية الليبرالية قائلين إنهم يرون بدلا من اليد الخفية التي تعمل ، نوعا من قانون (غريشام) في الصحافة حيث تطرد المطبوعات الرديئة المطبوعات الجيدة من السوق ، لأن نظام الصحافة المكرس للسعي غير المسؤول وراء الربح لا ينتج عنه مطبوعات تخدم رغبات المجتمع واحتياجاته ، وإنما ينجم عنه مطبوعات غير مؤهلة تأهيلا جيدا وهو ما يزدريه معظم النقاد .

والوظيفة الخامسة لاجهزة الاعلام في النظام الليبرالي هي خدمة النظام الاقتصادي ، مرتبطة هي الأخرى ارتباطا وثيقا بمهمة تحقيق الربح . وبظهور الاعلان الحديث أصبحت هذه الوظيفة معترفا بها في وسائل الاعلام . ولقد كانت الصحافة في المجتمعات الرأسمالية منذ طفولتها في خدمة هذا النظام الاقتصادي .

وأخيرا ولما كانت النظرية الليبرالية مبنية على افتراضات من فكر القرن الثامن عشر والتاسع عشر فقد كان لا بد من تعديلها بتطور وسائل الاعلام . ولكنها لا تزال حتى اليوم عاملا قويا في تشكيل سياسة الاعلام العام في المجتمعات الغربية .

نظرية المسؤولية الاجتماعية :

يقول السناتور الأمريكي روبرت كنيدي : (في رأيي ، ان الصحف مساوية للمحاكم ـ وأحيانا تسبق المحاكم في نظامنا ـ لحماية حقوق الشعب الاساسية) .

تعتمد نظرية المسؤولية الاجتماعية على المقدمة المنطقية التالية :

(ان من يتمتع بالحرية عليه التزامات معينة قبل المجتمع ، ويكفل الدستور حرية وسائل الاعلام ، ومن ثم فأنها ملزمة باداء مهام جوهرية معينة . والنظرية الليبرالية كافية ، ما دامت وسائل الاعلام تضطلع بالتزاماتها ، أما إذا قصرت فأن هيئات أخرى ، ومنها الحكومة ، يجب أن تجعلها ترتفع إلى مستوى مسؤولياتها) .

وقد ظهرت النظرية الجديدة ، عندما أخذ النقاد في السنوات الأخيرة يراجعون صحة النظرية الليبرالية في الصحافة ، ودقة وصفها للانسان والمجتمع . ولم يثيروا التساؤلات حول أداء الصحافة فقط ، ولكنهم أثاروها حول الافتراضات التي ترتكز عليها النظرية الليبرالية ، بشأن طبيعة حقوق الانسان والمجتمع والحرية .

وهكذا فقد جاءت نظرية المسؤولية الاجتماعية مثل سابقتها مركبة من عدة أفكار . فهي تعترف بالوظائف الليبرالية في تنوير الجماهير وخدمة النظام السياسي وصيانة

الحقوق المبدئية . ولكنها تعبر عن اعتقادها بأن وسائل الأعلام لم تقم بأداء واجباتها بالكفاية التي ينبغي ان تؤديها في الديمقراطية الصناعية الحديثة .

ومن ناحية أخرى ، نجد ان نظرية المسؤولية الاجتماعية جديدة تماما ، فهي تفترض أساسا ان الحرية ، بما في ذلك حرية وسائل الأعلام ، لا يمكن تعريفها بمعزل عن مسؤ ولية ممارستها . فوسائل الاعلام التي تتمتع بالحماية والمكانة المرموقة ، في ظل القوانين ، عليها التزام قبل المجتمع للقيام ببعض المهام الجوهرية في الديمقراطية الصناعية الحديثة المعقدة . فاذا تحملت وسائل الاعلام مسؤ وليتها ، وجعلتها أساس سياستها في العمل ، فلا ضرر لعلاج يضمن تلبية احتياجات المجتمع المعاصر . ولكن بعض أصحاب نظرية المسؤ ولية الاجتماعية يحذر من إنه في المجالات التي لا تضطلع فيها وسائل الاعلام بمسؤ وليا تها ، يجب على هيئات إجتماعية أخرى ومنها الحكومة ، ان تتأكد من قيام وسائل الاعلام بواجباتها الجوهرية .

ومع ذلك فقد أحدث القرن العشرين تحولا تدريجيا بعيدا عن المفهوم الفردي لحرية وسائل الاعلام فقد تضاءل الأيمان بالفكرة القائلة بأن الحرية غير المقيدة ، إذا اقترنت بعقل الانسان وضميره ، تؤمن أعلام قادر على تلبية احتياجات المجتمع . وقد بدأ بعض القراء يطالبون بمستويات أعلى للأداء الأفراد ، مهددين بأصدار تشريعات إذا لم ترتفع الصحافة إلى تلك المستويات . واستجابة لهذه الانتقادات ، بدأ الناشرون يربطون المسؤ ولية بالحرية . وعلى مر السنين حدث تغير كبير في تعريف وسائل الأعلام لحرية التعبير .

وأخيرا كان بودي ان اتحدث بالتفصيل عن النظرية الاشتراكية التي هي بدون شكل اختصاصي الأساسي حيث دراستي الأولية الجامعية والعالية ، إلا ان ضيق الوقت هو الذي حال دون ذلك . آمل أن أكون قد ساهمت مساهمة بسيطة في خدمتكم ضمن هذه الدورة . وأشكر اتحاد الصحفيين العرب لأتاحته الفرصة لنا في لقاءكم والسلام عليكم .